ذخائر البردى فى مكتبة ڤيينا (ألبرتينا) (*)

للأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن
رئيس قسم اللغة العربية

مقدمة :

فى رحلة لى الى النمسا عام ١٩٥٩ ، قمت بجولة سريعة فى قاعات «ألبرتينا» الملحقة بالمكتبة القومية فى ڤيينا ، قررت بعدها أن أضع فى برنامجى ، العودة الى ألبرتينا لدراسة مجموعتها الكبرى من ذخائر البردى العربى ، لكى أستعين بها فى توثيق ما أشتغل به من مخطوطات تراثنا ، بمعرفة نماذج من الخط العربى المبكر ، ونسق الكتابة وأنواع المداد ...

وفى صيف عام ١٩٦٤ ، وافق مجلس جامعة عين شمس على ايفادى الى ڤيينا فى هذه المهمة العلمية ، حيث أمضيت هناك ثلاثة أشهر متفرغة للدرس فى ألبرتينا .

ومن اليوم الأول ، أدركت أن الوقت المحدد للمهمة ، لا يكفى لاستيعاب ما هناك من سجلات البردى ووثائقه ، فضلا عن فحص قدر كاف من البرديات العربية التى يبلغ عددها نحو عشرة آلاف بردية ، ضمن مجموعة ألبرتينا الكبرى التى تقدر بنحو مائة ألف بردية مصرية .

لكن الظروف أعانتنى على مواجهة الموقف ، فقد تطوع أستاذى المغفور له « أمين الخولى » بمعاونتنى على العمل بما له من خبرة أصيلة ، وساعدتنى ابنتى «أديبة أمين الخولى : الطالبة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية» فتفرغت لترجمة النصوص والرسائل عن الألمانية ، وكانت مطالعتى السريعة لهذه النصوص ، قد أبانت لى عن ضرورة نقل تراجم لها ، كاملة دقيقة .

(*) طبع هذا التقرير بالعربية فى موسكو عام ١٩٦٦ ، بعناية المستشرق الدكتور شرباتوف .

وكشف اتصالى بهذه الذخائر ، أن الأمر فيها أخطر وأهم من مجرد الانتفاع بها فى توثيق مخطوطات تراثنا . فهناك ألوف لا تحصى من البردى ، تسجل حياة أجدادنا ، وتضىء للانسانية تاريخ مرحلة طويلة وهامة من ماضى حضارتها ، وتعطى التاريخ وثائق مادية كاشفة لبعض ما فيه من غموض ، ومصححة لكثير مما شابه من أخطاء ، ومكملة لقصور المرويات النقلية التى تتسع للزيف والعبث والوضع ، وتتعرض للتجريح والاتهام .

ومعها ذخائر نادرة من مخطوطات على الرق والخشب والخزف والنسيج : ودائع تركها الماضون من أهلنا ، وطوتها أرض الوادى وأطلال خرابه لمدى قرون ودهور ، ثم لما بدأ الكشف عنها فى القرن التاسع عشر ، ازدراها قومنا فلم يجدوا فيها سوى نفايات رخيصة ، أو كفريات محرمة ، وتركوها للأجانب الذين تسابقوا على الكنز .

(١)

سجـــلات البردى

وكانت المرحلة الأولى من العمل ، دراسة ما فى محفوظات ألبرتينا من سجلات وبحوث لعلماء البردى ، وقد استطعت أن أستوعب منها ، أهم ما يحتاج اليه عملى وهذا بيان لما طالعته منها باستعجاب :

١ ــ دليل « كراباتشك » للبردى الذى عثر عليه فى الفيوم :

Karabacek, J. : Der Papyrusfund von el Fayûm. Wien, 1883.

وفيه لوحات بالزنكوغراف . لأهم الوثائق التى فحصت من مجمـــوعة الفيوم الأولى .

٢ ــ كتاب المستشرق الدكتور يوسف كراباتشك : دليل عن مجموعة بردى الأرشيدوق راينر .

Josef — Karabacek : Fuhrer durch die Papyrus Erzherzog Rainer. Wien, 1894.

وفيه عرض لأهم البرديات التى فحصها كراباتشك ، منسقة فى فصول حسب لغاتها ، والفصل الخاص بالبردى العربى ، يقدم ٩٥٠ بردية عربية مصرية ، من

الفتح العربى لمصر ، الى عصر المماليك . وهذه البرديات مرتبة ترتيبا تاريخيا ، وقد وضعت كل بردية ، مع تعليق من « كراباتشك » على نصها وما حوله من ظروف تاريخية ، ويقع هذا القسم العربى من ص ١٣٣ ، وأرقام برياته فى فهرست ألبرتينا من ٥٥٠ ــ ١٤٠٠ .

٣ ــ وثائق رسمية من البردى العربى ، نشرها الدكتور جروهمان جـ ١ طبع ڤيينا ١٩٢٣ Grohmann, A. : Protokolle u. Herausgaben. Wien, 1923. وعددها (٣٠٦ وثيقة) ، مع فهرس بأرقامها فى المجموعة العامة .

٤ ــ مدخل عام فى البردى العربى ، لجروهمان ــ ڤيينا ١٩٢٤ .

Grohmann, A. : Allgemeine Einfuhrung in die Arabischen Papyri.

وفيه لمحة تاريخية ، لقصة العثور على البردى وأماكن العثور عليه . ومراحل انتقاله الى أوربا ، ومواضع وجوده فى مختلف متاحفها وجامعاتها ، مع بيان مفصل للعمل الفنى والعلمى فى فك اللفائف وفحصها وتصنيفها ، وايضاح للغاتها وخطها ومدادها ونسقها وتقييم لمادة الوثائق القديمة .

٥ ــ كتاب جروهمان عن علم البردى . ط . براج ١٩٥٥ .

Grohmann, A. : Einfuhrung und Chrestomathie zur Arabischen Papyruskunde. Praha, 1955.

٦ ــ مجموعة الرسائل المتبادلة بين تيودور جراف ويوسف كراباتشك والأرشيدوق راينر . نشرها الدكتور هربرت هونجر فى ڤيينا ١٩٦٢ .

Hunger, H. : Aus der Vorgeschichte der Papyrussammlung der Osterreichischen Nationalbibliothek = Briefe Theodor Grafs, J. V. Karabacek. Erzherzog Rainer. Wien, 1962.

وفيه نصوص للرسائل الهامة التى تروى قصة اقتناء النمسا لأكبر وأغنى مجموعة من البردى فى العالم كله ، والثمن الذى أخـــذه التاجر جراف من الأرشيدوق راينر لهذه المجموعة الكبرى .

والكتب الأربعة الأولى لاتوجد فى المكتبات ، ومن ثم اضطررت الى استعارتها للقراءة من محفوظات ألبرتينا ، أما الكتب الثلاثة الأخيرة فأمكننى شراؤها من مكتبات ڤيينا ومن دار الكتب القومية بها ، ومن هذه السجلات والبحوث لعلماء

البردى عرفت على وجه الدقة والتفصيل ، قصة العثور على كنوز البردى فى أرض مصر ، والدول التى اشتركت فى السباق عليه . والقدر الذى تملكه منه متاحف الغرب ومعـــاهده ومكتباته ، الى جانب ما تملكه هواة الآثار وعلماء المصريات والاستشراق .

(٢)
قصة الكنز

وتبدأ القصة من عام ١٨٢٤ حيث عثر بعض الفلاحين فى منطقة سقارة على ابريق صغير من الفخار فيه برديان عربيتان ، ظفر بهما هاوى الأثريات المصرية « برناردو درڤيتى Bernardo Drovetti » قنصل فرنسا بمصر ، وبادر فقدمهما الى البارون سلفستردى ساسى Silvester de Sacy ؛ الذى اهتم بدراستهما كما درس معهما برديات عربية أهداها القنصل الانجليزى Henry Satt الى الملك لويس الثامن عشر .

ومضت عشرات من السنين ، دون جديد .

ثم عثر الفلاحون فجأة على أكوام من البردى فى الخرائب المهجورة لأطلال مدينة أرسنوحى القديمة ــ ومكانها الحالى كوم فارس ــ فى صيف ١٨٧٧ ، وعرض البردى للبيع فاشـــتراه « ج ترافرس G. Travers» قنصـــل الرايخ الألمانى فى القاهرة وأرسله من فوره الى المتحف المصرى ببرلين . وفى شتاء العام نفسه ، عثر سكان الفيوم على مجموعة ضخمة من البردى فى خرائب (كوم الحرانية) اشترى « ترافرس » أكثرها وذهب قدر منها الى « متحف اللوفر » بباريس ، وقدر آخر اشتراه بورجس ، وروجرز (القنصل الانجليزى بالقاهرة) وانتقل بفضل جهود « شترن Stern » الى ملكية المتحف المصرى ببرلين ، فى عام ١٨٨١ م .

وفى هذه الفترة كان المستشرق النمساوى Karabacek, J. قد التفت الى أهمية البردى عن طريق هوايته لفن النسيج ودراسة السجاجيد الشرقية ، فحدث أن أرسل اليه من القاهرة ، مواطنه تيودورجراف Theodor Graf. تاجر السجاجيد المشهور مجمـوعة من قطع النسيج الأثرية . معها لفائف من البردى لم يكد « كراباتشك » يراها حتى قدر ما لها من قيمة أثرية لا تقدر بمال . وبادر فأرسل

الى « جراف » بالقاهرة يلفته الى أهمية البردى ويطلب منه أن يسعى لجمعه وارساله الى ڤيينا . وبدأ دخول النمسا فى السباق على كنز البردى من عام ١٨٨١ وكان تيودورجراف هو الذى قام بأكبر جولة ، بمهارته وخبرته ومعرفته بمصر بعد اقامته بها سنوات عديدة مستثارا لبيت تجارى كبير .

***

وبعدها اتسع نطاق البحث عن البردى ، فشمل أكثر مناطق الصعيد ، وشاركت الدلتا مع ذلك فى اضافة قدر من الذخائر حيث عثر فى الفسطاط على برديات عربية من عصر الفتح الاسلامى وأخرى من العصر الفاطمى ، كما عثر على قليل من البردى العربى قرب طنطا ، وفى كوم القلزم قرب السويس .

ولم يترك الأمر طويلا للصدفة ، بل شاركت بعثات وعلماء حفريات من أوروبا فى هذا النشاط ، الى جانب ما كان البدو والفلاحون يعثرون عليه فى الخرائب والأطلال . ومن أشهر العلماء الذين اشتغلوا بالبحث عن كنز البردى Schweinfurth (١٨٨٦) وجوجنت Jougnet (١٩٠٠) .

وعثرت بعثة الحفريات الألمانية باشراف روبنسون (١٩٠٢ ، ١٩٠٥) على وثائق هامة ، ثم استأنفت نشاطها من مارس ١٩٠٨ باشراف فيريك وتسوكو Viereck ، Zucker فى منطقة الأشمونين ، وفى سنة ١٩١٠ عثرت البعثة الألمانية برياسة شوبرت وتسوكر ، فى عرب الكوم ، على بردى هام ، وصكوك قبطية من القرنين السادس والسابع (م) .

وشارك الايطاليون فى الحفريات من عام ١٩٠٣ . واكتشف ڤيلكن وشوفر Schofer, H. & Wilcker, V. أكواما من البردى العربى فى أبو صير الملق عام ١٩٠٤ وقام جرنيفل وهانت A. S. Hunt & B. P. Grenfell بعدة حفريات فى البهنسا من ١٨٩٦ ، وفى الفشن ١٩٠٢ كشفت عن برديات عربية هامة ، وعثر الانجليز على كمية ضخمة من البردى الاغريقى . وشغلت البعثة الفرنسية البولندية بالحفر فقدمت نتائج أثرية هامة ، وبدأ المعهد الفرنسى حفرياته فى أدفو عام ١٩١٤ ، ثم تعطلت بسبب الحرب العالمية الى أن استؤنفت فى ديسمبر ١٩٢١ باشراف سان بول جيرار Saint Paul Girard فعثرت على برديات عربية هامة ، وعلى عقدين تجاريين على الرق ولوحات من الطين والخشب عليها كتابات عربية وقبطية .

وظلت البعثات الأثرية تمارس نشاطها فى البحث عن كنز البردى نحو نصف قرن . ففى عام ١٩٣٧ عثرت بعثة جامعة وارسو بالاشتراك مع المعهد الفرنسى للآثار ، على ٧ برديات عربية ، ووثائق أخرى أثرية مدونة على الرق ، فى أطلال ادفو ، كما عثرت البعثة الايطالية للآثار Missione Archeologica d'Egitto برآسة الأستاذ « ڤوليانو » Vogliano فى العام نفسه على مجموعات غنية من البردى الاغريقى والقبطى ، وبعض صكوك عربية للضرائب من القرن الثالث الهجرى .

ولا تشير السجلات التى اطلعت عليها الى مشاركة لمصر فى هذا السباق الدولى على كنزها ، اللهم الا ما ذكره « جروهمان » فى كتابه عن البردى العربى عن تاجر عربى اسمه «الشيخ حسن» قام بحفريات خفية فى منطقة الفشن بقصد السرقة . ثم لم يذكر جروهمان ماذا عثر عليه هذا السارق ، من آثار بلاده وكنوز أجداده ... وعلى مدى ذلك الزمن الطويل لنشاط البعثات الأثرية كان البدو والفلاحون يعثرون من حين الى آخر على ذخائر من البردى أثناء بحثهم فى الخرائب والأطلال والمقابر المهجورة عن بعض ما ينتفعون به للوقود أو السماد . ومن أهم ما عثروا عليه ، كميات كبيرة من البردى العربى فى الأشمونين حوالى عام ١٨٨٥ ضُم جزء هام منها الى مجموعة النمسا ، والباقى تقاسمته مانشستر وهايدلبرج وهامبورج والمكتبة الخديوية بالقاهرة . وهذه المجموعات تكاد توازى مجموعات الفيوم من حيث العدد والأهمية التاريخية . وفى عام ١٩٠١ عثر فلاحو « كوم اشقاو » ــ وتقع على بعد ٧ كم من جنوب غربى طما ــ على كمية كبيرة من البردى فى مقبرة اسلامية مهجورة خلف كنيسة القرية . ولم يكونوا يقدرون قيمة هذه اللفائف فأحرقوا بعضها وقودا وتركوا الباقى فى مكانه ، لكن عمدة القرية كان قد سمع تجار الآثار يسألون عن البردى فأسرع الى المقبرة وحمل ما استطاع منه ، كما حمل الخفير الذى كان يصحبه كمية من اللفائف . وأثار هذا التصرف ريبة فى نفوس أهل القرية فطالبوا بنصيبهم مما عثروا عليه ، ولم يهدأوا حتى ظفر كل منهم ببعض اللفائف ، وتسامع تجار الآثار بالحادث فأقبلوا من طما والأقصر وأخميم يساومون أهل القرية على شراء ما لديهم من البردى . ووصل الخبر الى مفتش آثار أبيدوس فلجأ الى مأمور طما الذى ذهب الى كوم اشقاو مع قوة من جنود الشرطة ، أرهبت الفلاحين فسارعوا الى اخفاء ما لديهم

أو احراقه ، خوفا من العقاب . ولم يسفر التفتيش عن نتيجة . فأقامت الشرطة حراسة على المنطقة وبدأ الحفر فيها باشراف العالم الأثرى كويبل J. E. Quibell واستمر ١٨ يوما فكان كل ما عثر عليه ؛ ثلاث برديات وبعض لفائف الرق القبطى والأغريقى . وبعد مضى مدة ظهرت مجموعة كوم اشقاو التى أخفاها أهل القرية ، لدى تاجر بالقاهرة ، واستطاع الأستاذ موريتس Moritz أن يشترى قدرا كبيرا منها ، باع جزءا منه لدار الكتب ــ وكان مديرا لها ــ واحتفظ بأكثرها لمجموعته الخاصة ، كما وصلت برديات من بردى كوم اشقاو الى برلين وهايدلبرج ولندن وشتراسبورج وموسكو ، فضلا عما اشتراه بعض العلماء أمثال مونستر وتاشنر Munster & Taschner, P. من ذخائر المجموعة .

***

(٣)

مصير البردى

على هذا النحو ، كان السباق الدولى على ذخائر تراثنا من البردى ، وقد استغرق نحو قرن من الزمان على مرحلتين :

الأولى : من عام ١٨٢٤ حين عثر بعض فلاحى سقارة على ابريق من الفخار فيه لفافتان من البردى العربى ــ أهداهما القنصل دروفيتى الى ملك فرنسا ــ الى عام ١٨٧٧ حين عثر سكان الفيوم على مجموعة كبيرة من البردى الرائع ، وهى التى اشتراها القنصل الألمانى تراثرس لحساب المتحف المصرى ببرلين .

وفى هذه المرحلة الأولى ، كان أمر العثور على البردى متروكا للمصادفات ، فتحت ضغط الفقر والحاجه ، كان الفلاحون ينقبون فيما حول قراهم من خرائب وأطلال ، التماسا لبعض السماد والوقود ، أو بغية العثور على ما يمكن أن يرجى منه أى نفع . وبين حين وآخر كانت تقع لأحدهم سلال أو قدور قديمة ، مليئة بلفائف البردى المثقلة بالطين ، فيطرحها باهمال أو يلقى بها حطبا للنار .

ولا يدرى أحد على وجه التحقيق ، كم من هذه الودائع تلف وضاع ، قبل العثور سنة ١٧٨٠ على مجموعة دمياط ، التى أحرقت بأمر شيوخ القاهرة ،

لاحتمال أن تكون بها نصوص من الكفريات التى لا تحل مطالعتها فى ديـار الاسلام .

وهنا تبدأ المرحلة الثانية : فعلى وهج النار التى التهمت مجموعة دمياط ، التفتت أوروبا الى هذا الكنز الذى هان على أهله ، وبدأ عملاؤها الذين كانوا يجوسون خلال الديار بحثا عما تطوى أرضها من آثار ، يلتمسون البردى ويتسابقون على البحث عنه ويتنافسون على شراء مايقع منه لتجار الآثار أوالفلاحين أو البدو . وامتدت هذه المرحلة الى قرب منتصف القرن العشرين وفيها نشط البحث عن البردى واشتركت فيه بعثات الحفر الأثرية الأوربية الى جانب نشاط علماء الآثار وقناصل أوربا وتجارها وعملاؤها فى تتبع ما يعثر عليه أبناء البلد من البردى . وكان أكثر النشاط موجها الى الفيوم والوجه القبلى بحكم جفاف المنطقة وقدرتها على الاحتفاظ بمثل هذه الودائع . فانتشرت بعثات الحفر وطلاب البردى ، تفتش فى أطلال الفيوم ومنف والأشمونين والبهنسا وأهناسيا وأخميم وأسيوط وأدفو وطما والنوبة ، واتجه بعضها الى الفسطاط والدلتا وكوم القلزم قرب السويس . ولم تنته هذه المرحلة ــ قبل منتصف هذا القرن ــ الا بعد أن تسربت ذخائر البردى من بلدنا وتقاسمتها دول الغرب من شيكاغو الى لينيجراد ومن فلورنسا الى أوسلو . وفيما يلى بيان احصائى لمصير البردى المصرى ، نقلا عن سجلات البرتينا ودليل كراباتشك وأحدث كتاب للدكتور جروهمان :

أوروبا

النمسا :

تمتلك فيينا مجموعة الأرشيدوق راينر المودعة فى خزائن ألبرتينا بالمكتبة القومية وسأفرد لها حديثا خاصا فى هذا التقرير ، لأهميتها وخطرها ، ولأنها كانت موضع دراستى فى المهمة العلمية التى أوفدت لها .

وفى انسبروك Innsbruck ، مجموعة من ١٠٤ بردية اقتنتها الجامعة عن طريق جروهمان ، وفيها برديتان من الأشمونين ، أما الباقى فمما عثر عليه فى الفسطاط وقرب طنطا ، على ندرة ما أعطى الوجه البحرى من هذه الذخائر .

ألمانيا :

فى برلين Berlin : مجموعة المتحف المصرى هناك ، وكان يقتنى عددا لا بأس به من البردى ، قبل أن يظفر بالصفقة التى اشتراها ترافرس . Travers عام ١٨٧٧ من بردى الفيوم والبهنسا ، ثم أضيف اليه ما اشتراه القنصل روجرز E. F. Rogers والأستاذ بورجتش Burgsch والقنصل شميت Schmidt والدكتور بوك Bock وأصلها من الفيوم . وفى عام ١٨٨٦ اشترى شترن Stern مجموعة من البردى كان يملكها المهندس Stader واقتناها المتحف ، كما اقتنى ما عثر عليه الأستاذ شفاينفورت Schweinfurth من منطقة الفيوم وأهناسيا ، وتبع ذلك شراء مجموعة بورجسن وما عثر عليه بعثات الحفر الالمانية فى الأشمونين (١٩٠٥) والنوبة وجزيرة فيله وأسيوط (١٩١٠) وفى ١٩٢٥ قام الأستاذ شوبرت Schubert المشرف على مجموعة البردى فى متحف برلين برحلة الى مصر فاستطاع شراء ١٢٧ بردية قيمة جدا من بردى الفيوم وأهناسيا والأشمونين ؛ وتلقى المتحف ١٩٢٨ (٢٧ بردية) أرسلها بيكر Becker .

وفى متحف الخط ببرلين أيضا مجموعة خاصة ، أشهرها مجموعة الدكتور ايبشر Ibscher وأصلها من الأشمونين ، ومجموعة يوليوس كورت Kurth, J. ومجموعة شميت Schmidt .

مدينة جيسن Giessen : توجد مجموعة بردى Jand فى المعهد التحضيرى للدراسات اللغوية بجامعة لودفيج ، كما يمتلك المتحف التاريخى فى المدينة ثمانى قطع عربية من الفيوم والأشمونين .

واقتنت جامعة هامبورج Hamburg عام ١٩٠٧ وثائق من البردى المصرى الاغريقى ثم بدأت بعد عامين تهتم بالبردى العربى بالحاح من الأستاذ بيكر ، واستطاعت فيما بين عامى ١٩١٠، ١٩١٢ أن تظفر بذخائر من بردى الفيوم والبهنسا والأشمونين وأدفو وأسوان ، فوصلت المجموعة الى ١٣٠ قطعة ، عام ١٩٣٨ ، أشرف الأستاذ ايبشر على فكها وصيانتها بين ألواح من الزجاج .

واقتنت مكتبة جامعة هايدلبرج Heidelberg عام ١٨٩٧ مجموعة من بردى الفيوم وأخميم والأشمونين اشتراها الدكتور راينهارت Reinhardt — معظمها

مكتوب بالعربيةوقليل منه بالعبرية . وبعد أعوام ظفرت الجامعة بالمجموعة الخاصة بالدكتور راينهارد وعددها ألف بردية . أكثرها باللغة العربية ، وجزء منها باللغات القبطية والسوريانية والاغريقية والفهلوية ، وكانت المجموعة قد آلت سنة ١٩٠٣ بعد وفاة الدكتور راينهارت ــ بوصية منه ــ الى صديقه المدير شوت Schott الذى قدمها بدوره هدية الى جامعة هايدلبرج فأطلقت عليها اسم « بردى شوت ــ راينهارت » « Schott-Reinhardt » تحية ذكرى وتكريم لمن جمعها ومن أهداها . وأصل المجموعة من بردى أهناسيا وكوم اشقاو وأخميم والفيوم والأشمونين ، وقد نمت بعد ذلك بما أضيف اليها من نتائج حفريات مجمع هايدلبرج والجمعية العلمية فى فرايبورج عام ١٩١٤ ــ الى جانب ٥٩ بردية عربية من الفسطاط ، جاء بها الدكتور جروهمان . وتولى عدد من المستشرقين الألمان فحص البردى العربى فى مجموعة هايدلبرج ، منهم الأساتذة بيكر وسايدل وبيلابل Becker, Seidl, Bilabel .

وفى مكتبة جامعة لايبزج Leipzing مجموعة ثمينة من بردى الفيوم ، جاء بها الأستاذ لوت Loth من القاهرة عام ١٨٧٩ . مع مقدار آخر أرسل الى برلين .

وفى ميونيخ München تقتنى المكتبة البافارية تسع برديات عربية وبردية اغريقية عربية .

كما يوجد فى مكتبة مونستر Münster عدد من البرديات العربية اشتراها الأستاذ تاشنر من القاهرة ومنها ما يرجع الى القرن الثالث الهجرى ، ولم ينشر منها شىء ، وان كانت حفظت جميعا بين ألواح من زجاج .

بريطانيـا :

فى « كامبردج » Cambridge ، نص سحرى (عـــربى قبطى) مودع بمكتبة الجامعة وقد نشره كروم وكراب : Krapp, A. & Crum, W. E.

وفى لندن London . بالمتحف البريطانى ، مجموعة صغيرة قيمة من البردى العربى والرق أصلها من سقارة والفيوم والأشمونين ، الى جانب مجموعة من نصوص المراسيم والسلوك من بردى الأشمونين وكوم اشقاو . وقد شارك فى فحصها ودراستها « جروهمان ، وكروم ، وبيكروبل ، وبيلابل » .

وفى مانشستر Manchester ، يحتوى كنز المخطوطات الشرقية الذى تملكه مكتبة جون رايلاند : John Ryland's Lib. على مجموعة ثمينة من ٦٠٠ بردية عربية أكثرها من الأشمونين . وكان ايرل كراوفور : Earl Crowford قد اشتراها من مصر عام ١٨٩٩ وحملها الى قصره فى اسكتلندا فاشترتها مكتبة جون رايلاند سنة ١٩٠١ . وكانت هذه المجموعة جزءا من مجموعة كبرى من بضعة آلاف بردية اشتراها كارلوجراف لاندبرج Carlo Craf Lanbderg سنة ١٨٩٨ وذهب أكثرها الى الأرشيدوق راينربشينا . ويعتقد جروهمان أن المجموعتين تكمل احداهما الأخرى ، وقد نشرت مختارات من مجموعة كراوفورد ، عام ١٩٠٩ بمعرفة كروم ومرجليوث .

وفى عام ١٩٣٣ نشر مارجليوث الكتالوج العبرى وفيه وصف لثلاثمائة وأربعين بردية مع بعض ترجمة لبعضها .

وفى أكسفورد Oxford تقتنى مكتبة البودليانا مجموعة غنية من البردى بينها ٩٤ بردية عربية بدأت بما جاء به شستر Chester من بردى الفيوم ما بين عامى ١٨٧٨ و ١٨٨٤ ، ثم تلتها مشتريات المستشرق دى ساسى De Sacy عام ١٨٨٨ وكانيبيرا Canybeare عام ١٨٩٦ وبيترى Petrie عام ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ ثم دى ساسى مرة أخرى عام ١٩٣٣ وفيها ١٦ بردية مما عثر عليه فى كوم اشقاو وأحدثها مؤرخة عام ٣٢٩ هـ .

ولم ينشر من مجموعة اكسفورد سوى أربعة نصوص بمعرفة مارجليوث ، منها خطابان عربيان نشرهما سنة ١٨٩٣ ، ونصان عربيان ــ أغريقيان عام ١٨٩٧ ويرجع تاريخهما الى عام ٧١٩ م وان كان النص العربى فيهما مطموسا .

فرنسا :

تتكون مجموعة متحف اللوفر بباريس من ٣٠٦ بردية عربية لم ينشر منها شىء حتى الآن . وأكثرها جاء من الفيوم .

وفى مخطوطات المكتبة القومية Bibliothèque Nationale ٢٢ بردية عربية ، منها البرديتان اللتان أهداهما دروفيتى Drovetti, B. الى ملك فرنسا وأصلهما من سقارة . وقد نشرها دى ساسى .

وفى ستراسبورج Strasbourg اقتنت الجامعة والمكتبة مجموعة جميلة من البردى ؛ بفضل جهود (Spiegelberg, Reitzenstein & Preisigke) وقد نمت تباعا بما أضيف اليها من مشتريات مايرهوف Meyerhof, M. ورايتهارت Reinhardt وبورخارت Borchardt . وتضم المجموعة ١١ بردية عربية ـ قبطية ، ٣ اغريقية ـ عربية ، ٦٨٠ بردية عربية .

كما تمتلك جمعية ستراسبورج العلمية ٢٣ بردية عربية ، وقد نشر بيكر اثنتى عشرة بردية عربية ـ اغريقية ، أصلها من كوم اشقاو بطما .

إيطاليا :

فى معهد البردى بفلورنسا ، عدد من البردى العربى عهد بدراسته الى المستشرق ليفى ديلاڤيدا : Levi della Vida . وفى المعهد أيضا مجموعة من البردى الاغريقى واللاتينى الرائع .

وظفرت ميلانو Milano بمجموعة من البردى العربى ، جاء بها فوليانو أثناء رياسته لبعثة الحفر الايطالية بمصر . وأضيفت اليها كمية أخرى بعد ذلك ، لا يعرف عددها .

تشيكوسلوفاكيا :

فى المعهد الشرقى بمدينة براج Prag ، مجموعة ڤيسيللى C. Wessely الثمينة المكونة من ٨١٨٢ قطعة منها ٨٩٧ بردية عربية ، وكان ڤيسيللى قد اشتراها عام ١٩٠٤ من تاجر أرمنى فى باريس ، وآلت بعد وفاة ڤيسيللى بوصية منه الى الأستاذ هوفنر Hopfner, Th. فى براج فباعها فى يونيو ١٩٣٤ الى المعهد الشرقى. ومن هذه المجموعة نشر جروهمان ٩٦ نصا ، فيما بين عامى ١٩٣٨ ، ١٩٤٣ وأكثرها ـ فيما نظن ـ من الفيوم والأشمونين .

الاتحاد السوفيتى :

توجد ثلاث مجموعات : واحدة فى موسكو ، يقتنيها متحف الفنون الجميلة وقد جمعها جولينشيف V. S. Goleniscev من مصر عام ١٨٨٨ ، ١٨٨٩ وهى نحو مائة بردية عربية وبعض البرديات العربية الاغريقية ، والقبطية .

ومجموعتان فى لينجراد Leningard ، أولاهما مجموعة ليتشاكوف N. Lichacov التى اشتراها من القاهرة وفيها عدد من بردى كوم اشقاو والأخرى فى المجمع العلمى فى لينجراد (المتحف الباليوجرافى سابقا) وفيها مائة صك نشر بعضها بمعرفة بريبلكين Berepelkin عام ١٩٣٦ فى دليل (معرض الخط فى العصور القديمة والوسطى) .

أما مجموعة موسكو فلم ينشر منها شيء . وكان كراتشكوفسكى Krackovskij وبارتولد W. Bartold قد مهدا قبل الثورة للبحث العلمى على البردى الغربى . لكن لم يتم العمل . وفى عام ١٩٣٤ أدخل « معهد الكتاب » فى برنامج عمله البحث عن البردى العربى ودراسة مجموعتى لينجراد ومجموعة موسكو ، ولم تنشر نتائج هذا العمل .

بولندا Boland :

اقتنت « جامعة وارسو » عام ١٩٣٣ تسعا وأربعين بردية عربية من الفيوم أهداها اليها الأستاذ شميت . ثم أضيفت اليها بعد ذلك ، ما جاءت به بعثة حفريات الجامعة بالاشتراك مع المعهد الفرنسى للآثار بالقاهرة ، عام ١٩٣٧ .

وتوجد فى مجموعة بردى المعهد التحضيرى للغويات بالجامعة أربع برديات عربية (ثلاث رسائل وكشف) .

* * *

وحرصت دول أوربية أخرى — لم تشترك فى السباق على البردى — على اقتناء بعض نماذج منه :

سويسرا :

يوجد فى متحف أراو Arrau الطبيعى عدد من وثائق البردى يعتقد أن تشوكر Zschokker جاء بها من القاهرة فى أخريات القرن التاسع عشر ، ووضعت فى متحف الجمعية الجغرافية التجارية ، ثم نقلت الى المتحف الطبيعى .

النرويج :

توجد مجموعة من البردى المصرى فى مكتبة جامعة أوسلو من ٢٠٠ الى ٣٠٠ بردية جاء بها الدكتور أيتفرم Eitvrm من القاهرة .

تركيا :

وفى المتحف العثمانى بالقسطنطينية (تركيا) بردية عربية من كوم اشقاو نشرها بيكر .

أمريكا

اقتنت جامعة ميتشجان مجموعة من البردى المصرى ؛ فيها ٦٥ بردية عربية عام ١٩٣١ ثم أضيف اليها عام ١٩٣٢ مجموعة أخرى من أجل البردى ، أصلها من الأشمونين ؛ وقد اهتم الأستاذ واريل Worell بدراسة هذه المجموعة وان لم ينشر شيء منها حتى عام ١٩٥٥ .

وظفر المعهد الشرقى بجامعة شيكاجو سنة ١٩٢٩ بالمجموعة القيمة من البردى المصرى والرق والمخطوطات التى جمعا مورتس B. Mritz. خلال اقامته الطويلة بمصر مديرا لدار الكتب الخديوية ؛ وعندما رحل عن مصر حملها معه .

وبعد سنتين اشترت الجامعة ٧٠ بردية عربية عن طريق الأستاذ بونر Bonner وفى أعمال سريعة متلاحقة نشر أبوت Abbott ١٣ بردية عربية من تلك المجموعة منها رسائل من القرن الأول الهجرى (١٠ ؛ ٩١ هـ) ونصوص عن أديرة الفيوم القديمة ، ووثائق من عهد الخليفة المتوكل على الله ، وعقدان من عقود الزواج العربية .

البلاد العربية

مصر :

لم تظفر مصر من كنزها الذى تفاسته دول الغرب ، بغير مجموعتين فى القاهرة : أولاهما فى دار الكتب وعددها نحو ألف بردية ، ويرجع الفضل فى

تأسيس المجموعة الى الأستاذ موريتس ، الذى كان مديرا للدار من عام ١٨٩٦ الى ١٩١١ فاشترى لحسابها بعض القطع ، مع ما كان يشتريه لمجموعته الخاصة ، ثم جاءت بعض القطع هدية الى الدار وأضيف اليها ما اشتراه ميشيل كازيرا Michel Casira من بردى الفيوم والأشمونين فى الاعوام من ١٩٠٣ : ١٩٠٥ وفى فبراير ١٩٠٦ ، ضم الى المجموعة عدد نادر من البردى كان فى حوزة مصرى من الجيزه اسمه (الشيخ على) فبلغ رصيد الدار من البردى فى عهد « موريتس » نحو ألف قطعة زادت بعد ذلك بما أضيف اليها من بردى الفيوم والأشمونين وكوم اشقاو وادفو والدلتا .

وموريتس ، هو الذى قام كذلك باعداد المجموعات فى صالة العرض ، وقد استكمل معرض البردى بعد ذلك فى عام ١٩٣٩ وأسهم الدكتور ايبشر Ibscher فى صيانته واعداده ، وكان من المقرر طبع دليل من مقتنيات الدار عن البردى عام ١٩٣٩ ولكن الحرب حالت دون ذلك .

ونشر عن هذه المجموعة مقال لموريتز ١٩٠٥ ، وآخر فى مادة الخط العربى بدائرة المعارف الاسلامية . وثالث فى الجزء الخامس من حوليات الاسلام لكايتانى: Annali dell Islam وأعاد بيكر — بعد اقامة قصيرة فى القاهرة عام ١٩١١ — نشر القطع التى نشرها مورتس ، مع ترجمة وتعليق ثم كان الدكتور جروهمان ، هو الذى اشتغل بدراسة مجموعة دار الكتب فنشر بمعاونة موريتز عام ١٩٢٤ ثمانية نصوص ديوانية (مراسيم) ثم وضع برنامجا لنشر المجموعة فظهر الجزء الأول عام ١٩٣٤ وفيه ٧٢ مرسوما ديوانيا ، والجزء الثانى عام ١٩٣٦ وفيه ٧٣ صكا رسميا أيضا ، والجزء الثالث عام ١٩٣٩ وفيه ٦٩ نصا من البردى الحكومى ، وأعد للنشر الجزء الرابع وفيه ٧٤ نصا والخامس والسادس وفيهما ١٧٤ وثيقة من تاريخنا الاقتصادى، ويختص الجزء السابع الضرائب والثامن بالرسائل والأدب. وترك لدار الكتب نشر هذه الأجزاء خدمة لتراثها الوطنى . وفى عام ١٩٣٤ نشر جروهمان محاضرة عن بردى دار الكتب كان قد القاها فى الجمعية الجغرافية المصرية عام ١٩٣٢ .

والمجموعة المصرية الثانية موجودة فى المتحف المصرى بالقاهرة وأغلبها قبطى لم ينشر عنها الا بحث للمستشرق كازانوفا P. Casanova ، كما نشرت عدة

نصوص عربية كانت ضمن صكوك قبطية ، مع ترجمة سلان Slanes وطبع جياسكو أحد هـذه النصوص سـنة ١٨٨١ . وبالاضافة الى مجموعتى دار الكتب والمتحف ، تقتنى دار الآثار العربية رقين من جلد الغزال عليهما عقدان تجاريان ، وبعض البردى من حفريات الفسطاط وادفو ، مما عثرت عليه بعثة المعهد الفرنسى للآثار بالقاهرة ، ويذكر جروهمان أن بالقاهرة عددا من المجموعات الخاصة أهمها مجموعة ميكاليدس G. Michaelides ، ومجموعة مايرهوف ، ومحمد على سعودى بعين شمس .

وفيما عدا القاهرة ، لا تشير سجلات البردى بڤيينا الى وجود شىء منه فى الأقطار العربية ، عدا مجموعة الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب بتونس ، كما لا تشير الى أى أثر للبردى فى الشرق الآسيوى الافريقى .

(٤)

مجموعة راينر فى ألبرتينا

المكتبة القوميـــة بڤيينا

وأتحدث الآن عن مجموعة ڤيينا وهى أكبر وأغنى مجموعة من البردى المصرى فى العالم كله . وقد استطعت من مطالعتى للوثائق والسجلات الخاصة بها فى محفوظات ألبرتينا ، أن أتتبع القصة المثيرة من أولها حيث يتكرر المشهد بصورة أو بأخرى فيما آل الى بقية الدول الغربية التى اشتركت فى السباق على الظفر بودائع هانت علينا من تراث أجدادنا . والغريب أن النمسا لم تتجه الى الاشتراك فى السباق على البردى منذ بدأ فى أوائل القرن الماضى . وحتى حين بلغ ذروته فى الربع الأخير من ذلك القرن ، كانت النمسا لا تزال زاهدة فيه منصرفة عنه . وفى الوقت الذى تنافس فيه قناصل ألمانيا وفرنسا وانجلترا وايطاليا على شراء ما يعرض من البضاعة فى أسواق القاهرة والصعيد ، وقف قنصل النمسا بمعزل عن السباق وترك زملاءه الآخرين يتقاسمون الغنيمة . بل ان العالم النمساوى المستشرق « كارلباتشيك » والتاجر « تيودور جراف » اللذين كسبا للنمسا مجموعتها الكبرى ، لم يهتما بالبردى فى بادىء الأمر وانما كان أولهما

مشغولا بهوايته لفن النسيج الشرقى وكان الآخر منصرفا الى تجارة السجاجيد ، يحمل منها الى ڤيينا روائع القطع الأثرية النادرة فى رحلاته التجارية الى مصر ، حيث أقام سنين طويلة مستشارا لبيت تجارى كبير فى الاسكندرية . ومن هنا نشأت الصلة الوثيقة بين تاجر السجاجيد وبين المستشرق الهاوى للمنسوجات الأثرية ، فكان جراف يربط كل رحلة تجارية له الى مصر ، بالغرض العلمى الذى يهم صاحبه . واستطاع قبل الثورة العرابية أن يرسل الى ڤيينا مجموعة نادرة من السجاجيد الشرقية لم تشاهد العاصمة لها مثيلا من قبل .

وبلغ من اهتمام كاراباتشك بهذه البضاعة الأثرية أن أغرى « جراف » بالحفر فى المناطق الجافة بالصعيد عن مقابر العصور التى تلت عصر الفراعنة بمصر ، أملا فى العثور على خرق من النسيج فى عهد الاغريق والرومان ، فكانت مفاجأة لكاراباتشك أن بعث اليه صاحبه ، فى عامى ١٨٨١ ، ١٨٨٢ بعض خرق البردى ضمن مجموعة من قطع النسيج القديمة . ومن هنا بدأ اهتمام « كاراباتشيك » بالبردى المصرى ، وبدأت فى الوقت نفسه قصة المجموعة الثمينة التى تعدها النسا اليوم ، من أمجد مآثرها على تاريخ الحضارة . ذلك أن العالم المستشرق لفت صديقه التاجر الى أهمية هذه الخرق ، وألح عليه فى بذل أقصى الجهد للظفر بأكثر قدر منها . ولم يكن للقناصل الأوربيين — الذين جندتهم دولهم للسباق على الكنز قبل تنظيم البعثات الحفرية — من الخبرة بالسوق والصلة بأبناء البلد ، مثل ما لهذا التاجر الخبير الذى لم يكد يدخل الميدان حتى خرج من الجولة الأولى بمجموعة من لفائف بردى الفيوم واهناسيا مقدارها عشرة آلاف بردية ، ظهر بعد الفحص أنها مكتوبة بست لغات ومنها ثلاثة آلاف بردية عربية . وعرفت برديات هذه الصفقة فى الدوائر العلمية فى أوربا بمجموعة « جراف ، أو مجموعة الفيوم الأولى » « Der erste Fayumer Fund » وتلقى « كاراباتشيك » هـذه البضاعة وهو لا يكاد يصدق أنها صارت اليه ، لكنه حين حاول فحص نصوصها ، وجد البرديات فى حالة تعسة . فالى جانب ما تآكل منها وعبث به البِلى ، كانت هناك ألوف من اللفائف المتحجرة لطول المدى على طيها مع ما تراكم فوقها من الطين الجاف ، ومنها ما كان مربوطا بخيوط من الصوف او ما كان مخيطا من أحد جوانبه على هيئة كراسات . وكانت محاولات فكها تعرضها للتمزق والتلف ما لم تبذل عناية تامة ، لازالة الطين منها وتطريتها ، كى يمكن فردها وفحصها .

وكان المعروف أن قدرا هائلا مما عثر عليه البدو والفلاحون فى خرائب الصعيد قد تلف تماما عندما حاولوا فك اللفائف بغمرها فى الماء . ومن هنا اتجهت محاولة « كارلباتشيك » أول الأمر الى تطرية اللفائف شبه المتحجرة بتعريضها لبخار الماء الساخن ؛ لكنه ما لبث أن عدل عن هذه الطريقة التى ملست بعض النصوص، الى طريقة التطرية الباردة التى جربها الألمان بنجاح فى صفقة القنصل « ترافرس » سنة ١٨٧٧ . وبعد عمل شاق متواصل وجهود مضنية أمكن فك اللفائف الملتوية وفتح الكراسات الملتصقة .

وكشف الفحص السريع لما تم تنظيفه وتطريته ، عن وجود نصوص ذات أهمية لا تقدر ، فكانت الخطوة الثانية ، تصنيف برديات المجموعة ، فى فئات متجانسة لغة أو متقاربة زمنا أو متكاملة قطعا ونصا . واقتضى تعدد لغاتها الاستعانة بعلماء فى اللغات العربية والسامية والهيروغليفية والفهلوية والقبطية واليونانية . وكلما تم تجهيز احدى البرديات وضعت بعناية فى اطار بين لوحين من الزجاج برقم مسلسل .

وتقدم العمل بفضل الجهود المتآزرة مع الخبرة الفنية والعلمية بحيث أمكن اعداد مئات من البرديات التى تم فحصها وتنسيقها ، وأقيم لها معرض فى السابع والعشرين من مارس ١٨٨٣ بالمتحف النمساوى للفنون . والقى « كارلباتشيك » فى حفل الافتتاح محاضرة عن قيمة هذه الوثائق وأهميتها والنتائج الأولى لبحوثه وبحوث زملائه من العلماء . كما قدم ثمرة العمل فى دليل مفصل بعنوان :
Der Papyrusfund von el Fayûn

ولكن المتحف النمساوى لم يُبْدِ مع ذلك رغبة ما فى شراء هذه المجموعة الثمينة واقتنائها ، أو عبثا حاول كارلباتشيك أن يقنعه بضرورة شرائها ، وبخاصة بعد أن تحرج الموقف : فالتاجر « جراف » قد دفع ثمنها من ماله الخاص ، وقد طال انتظاره للبت فى موضوع شراء النمسا لها ، فى الوقت الذى تعرض فيه لضغط الحاح شديد ومساومة مرهقة من بعض الدول الأوروبية وبخاصة ألمانيا التى أبدت استعدادها لشراء المجموعة بالثمن الذى يرضيه .

وبدا كأن النمسا توشك أن تفقد ما وصل الى عاصمتها من كنز البردى ، لولا أن سعى « كارلباتشيك » لدى الأرشيدوق راينر ــ راعى المجمع العلمى

فى ذلك الوقت ــ ونجح المسعى فدفع الأمير ثمن المجموعة كلها . وأبقاها باسمه فى متحف فيينا ، ثم أضاف اليها المجموعة التى اقتناها « كرال » أثناء مقامه بمصر سنة ١٨٨٢ كما آل الى «راينر» بعد ذلك مجموعة العالم الأثرى «شفاينفورت» Schwein Furth التى عرضها للبيع فى سوق القاهرة سنة ١٨٨٦ ، ونجح التاجر جراف فى شرائها ، وهى التى تعرف بمجموعة الفيوم الثانية « Der zweite Fayumer Fund » وظل الرصيد ينمو بما أضيف الى مجموعة جراف مما كان جراف وغيره يرسلونه الى فيينا ، من جديدٍ ما يعثر عليه من البردى المصرى ، ومنه كتاب الموتى Totenbuch الذى جاء به هاينريش Heinrich ومخطوطات من هوميروس جاء بها ڤيسيللى Wessely فضلا عما اشتراه العالم الأثرى جراف لاندبرج Graf Landberg الذى كان يقوم اذ ذاك بحفريات فى الجنوب العربى موفدا من مجمع ڤيينا للعلوم ، وقد ألح عليه زميله كاراباتشيك Karabacek أن يمر بالقاهرة لشراء ما يمكن شراؤه من البردى العربى ، فاستجاب لاندبرج لرجاء زميله ومر بالقاهرة فى خريف عام ١٨٩٨ . وقد تم فى هذا العام شراء آلاف من بردى الأشمونين تمتاز بدقتها وتفوقها ولونها البنى الفريد . وكانت كل المشتريات تتم لحساب الارشيدوق راينر Erzherzog Rainer وتضاف الى مجموعته التى بقيت فى متحف الفنون بين أيدى الخبراء والدارسين .

وقبل أن تلتفت مصر الى تسرب هذا الكنز من أرضها كانت مجموعة راينر قد بلغت نحو سبعين ألف بردية ! وفى أغسطس ١٨٩٩ قدمها الأمير الى « مكتبة البلاط الامبراطورى » هدية عيد الميلاد للقيصر « فرانزيوزف Franz Josef » وكان كاراباتشيك قد عين مديرا للمكتبة قبل ذلك ، حيث عاش ما بقى من عمره متفرغا للمجموعة ، ينميها ويرعاها ويفحصها ويدرسها بمعونة عدد من العلماء والخبراء . الى أن مات فى التاسع من شهر أكتوبر ١٩١٨ وبقيت المجموعة من بعده فى قاعة ألبرتينا بمكتبة ڤيينا ، ذخيرة قومية غالية ، ومزارا للعلماء والسائحين من أنحاء العالم الغربى المعاصر .

وكل هذا الذى أشرت اليه عن مجموعة بردى ڤيينا ، لم يكن شىء منه مجهولا للمستشرقين وعلماء المصريات ومؤرخى الحضارة من الغربيين ، فمنذ عام ١٨٨٣ تتابعت المنشورات من البحوث والوثائق كاشفة عن قيمة هذا الكنز ومحصية

ذخائره ومعلنة عن أشخاص الأبطال الثلاثة الذين كسبوا للنمسا أكبر جولة فى السباق وجعلوا من ڤيينا العاصمة الأولى لدراسة البردى . لكن بقى وراء هذا المعلوم من القصة أسرار خفية لم يكن أحد يدرى بها سوى أولئك الثلاثة ، حتى ظهر كتاب الدكتور هربرت هونجر Hunger, H. فى ڤيينا ١٩٦٢ فأذاع كل الأسرار المطوية بنشر نصوص الرسائل التى تبودلت بين تاجر السجاجيد تيودور جراف ، والمستشرق يوسف كاراباتشيك والارشيدوق راينر . وتبدأ الرسائل من عام ١٨٨١ حيث بدأ كاراباتشيك بحث صديقه العزيز « تيودورجراف » على البحث عن البردى فى خرائب الصعيد وأطلال الفيوم ، دون أن يكون للتاجر خبرة بقيمة البضاعة المطلوبة والثمن الذى يجوز لمثله أن يدفعه . ومن القاهرة بعث « جراف » الى صديقه الأستاذ خطابا مؤرخا فى ١٨٨١/٣/٧ جاء فيه :

« ... بعد رسالتى الأخيرة التى طلبت فيها نصحيتكم بخصوص شراء السجادة الدمشقية القديمة ، يسرنى أن أبلغكم اليوم أن بحثى عن قطع البردى انتهى بنجاح ، وان تكن قطعا صغيرة ، ولعل قيمتها فى أنها مكتوبة بعدة لغات من أقدم العصور ، ومن الصعب على أى حال العثور على لفائف كبيرة سالمة من الضرر . وأنا أتابع فى الوقت الحاضر البحث بحماس مع الأمل فى النجاح . وقد أرسلت اليكم هذه القطع بالبريد المسجل وآمل أن تخبرنى قريبا عما اذا كان لها قيمة ؟ وما قيمتها ؟ وهل أستمر فى ارسال القطع الصغيرة اذا لم أوفق فى العثور على لفائف كبيرة ؟

« الواقع أنى لا أدرى هل تستحق هذه القطع المرسلة اليك ما دفعته فيها من ثمن ؟ وسوف أسافر الى أسيوط بعد ثلاثة أيام أو أربعة ، ولعل أعود من رحلتى بنتائج طيبة ... »

ومن ڤيينا جاء رد كاراباتشيك مؤرخا ١٨٨١/٤/٩ :

« والآن الى البردى : كنتَ على حق اذ أرسلت هذه اللفائف الصغيرة ففيها قطع جميلة لا يزال خطها واضحا جديدا ، وبعض القطع كاملة . ومنها صك من عام ١٦٢ هـ (٧٧٩م) وفى الجزء الأخير منه ، صيغة كاملة وردت مبتورة فى بردية أخرى بتاريخ ١٨٠ هـ ، ولم يكن من المستطاع اكمالها لولا الظفر بالصيغة نفسها تامة ، فى هذه البردية التى أرسلتها مع الدفعة الجديدة . ومع سرورى البالغ بجمال

هذه القطع وقيمتها لا أزال ألح فى طلب مزيد منها ، فان قطعة صغيرة من صك أو وثيقة ما ، يمكن أن تضىء لنا ما ظل غامضا علينا لمدى طويل . واكتب لى فى خطابك التالى بيانا عن حالة الأختام على اللفائف ومدى سلامتها .

«وعشرون فرنكا للقطعة قد تبدو غالية ، لكن سوف نرى . وعلى أى حال لن تصاب بخسارة ما . ولى رجاء ، تجد على زاوية الصفحة الأخيرة من خطابى ، ثلاث عبارات عربية ، لها دلالة خاصة فى العربية ، وتستطيع أن تستفسر لى من بعض أصحابك العرب ، عما اذا كانت لا تزال مستعملة الى اليوم بدلالتها القديمة ؟ وثق أننى سوف أدين لك بكثير اذا ما قمت لى بهذه المهمة . ولكن يجب ألا تذكر اطلاقا أن هذه العبارات منقولة من نصوص البردى ، بل يكفى أن تقول انها وردت فى مخطوط قديم »[1].

* * *

والرسائل التى بعثها جراف من مصر عام ١٨٨٢ تنم عن قلقه البالغ بسبب أحداث الثورة العرابية ، وما يمكن أن تسبب من تعطل التجارة بعد أن تقدم العمل فى البردى بسرعة مذهلة ونجاح باهر ، لكنه استطاع مع ذلك ، أن ينظم العمل بفضل رجاله من الأعراب الذين كانوا يجوسون خلال الديار ويحملون البضاعة اليه حيثما كان ، فى حرص وأمان ، فنقرأ فى رسالة منه الى كاراباتشيك بتاريخ ١١/٤/١٨٨٢ :

« رجالى العرب Meine Araber قد تعلموا الآن جيدا ، ودربوا على العمل تدريبا طيبا ، وحتى فى حالة اضطرارى الى الغياب عن مصر ، فانهم سوف يحفظون لى كل ما يعثرون عليه من البردى . ومنذ ثمانية أيام وهم غائبون عن القاهرة فى جولة لجمع البضاعة ، وأنتظر عودتهم بصبر نافذ ، وأطمع فى أن يحضروا لى هذه المرة شيئا رائعا . »

---

(١) يعلق الدكتور هونجر ناشر الرسائل على هذه الفقرة بقوله : كل ما يتعلق بالبردى كان يتم فى الخفاء بصورة أو بأخرى . وقد حذر كاراباتشيك فى خطابه رقم ١١ الى تيودور جراف ، من الكلام فى مصر عن وصول شىء من البردى الى ڤيينا .

ثم كتب من القاهرة بعد خمسة أيام : « ... وقد تسلمت خطابك اللطيف ، ويؤلمنى حقا أن الطرد الذى بعثته اليك ـ وفيه أقمشة أثرية وبردى وعملات ذهبية قديمة ـ لم يكن قد وصل اليك فى ڤيينا ، حتى اليوم الخامس من ابريل . ولا بد أن رحلة الباخرة كانت سيئة لتأخر وصولها الى تريستا ...

« وأنتم ترون أننى أسير فى الطريق السليم وأرجو أن أوافيك قريبا بأشياء هامة مما نعثر عليه . وقد أحضر رجالى العرب تحفا مصرية أثرية ستأخذ طريقها الى ڤيينا ، ثم عادوا الى الصعيد يستأنفون بحثهم . وقد انتظم العمل بحيث يجد ما يعثرون عليه طريقه المأمون الىّ ، ولو لم أكن موجودا بمصر ...

« وقد زرت القنصل العام بالاسكندرية — البارون كوزيبك — ولم تتح لى فرصة لقائه ، لكن البارونه استقبلتنى بلطف زائد . ولما كانت مهمته بالسجاد القديم ، أهديت اليها نسخة من كتابك عنه .

« وأرجو أن يصلنى يوم الخميس خطاب منك عن الأقمشة والبردى والنقود الأثرية التى بعثت بها اليك ، فأنت لا تتصور مقدار لهفتى على وصولها ومعرفة رأيك فيها .

« بالأمس كنت فى طنطا وعدت الى القاهرة فى المساء ، ونحن نعيش هنا فى وقت عصيب بسبب الأحداث السياسية وقد اكتشفت مؤامرة على حياة البطل الأسطورى ـ عرابى باشا ـ فى اليوم الحادى عشر من هذا الشهر ، ولا يدرى أحد ما تأتى به الأيام القادمة ، وان شاء الله سأسافر اليوم الى الاسكندرية ومنها الى تريستا حيث أرجو أن أكون عندك بڤيينا فى آخر الشهر » .

ووصل جراف الى ڤيينا ، فلم يجد صديقه الدكتور كاراباتشيك هناك ، فبعث اليه رسالة بتاريخ ١٨٨٢/٥/٨ يقول فيها :

« صديقى العزيز ... جاءنى فى بريد اليوم من مصر نبأ سار : تم شراء صفقة جديدة من الأقمشة الأثرية ، قد تصل الى ڤيينا فى الأسبوع القادم . وكتب لى نائبى بالقاهرة أن من بينها قطعة طولها نصف متر ، وعرضها ٢٠ سم مطرزة بنقوش رائعة ، ويمكن أن تعد أجمل القطع التى اشتريت الى الآن على الاطلاق ، وسوف يسرنى أن تكون القطعة من الصناعة الساسانية حتى تثرى مجموعتنا .

وقد يواتينا الحظ فنعثر على روائع أخرى رومانية واغريقية قديمة ، فالذى لاشك فيه أن كثيرا منها مدفون فى رمال مصر » .

وظل جراف فى ڤيينا ، ينتظر الأنباء عن مجرى الأحداث فى مصر وهو مطمئن الى أن رجاله العرب هنا ، يواصلون البحث عن الكنز المدفون . وفى رسالة منه الى كراباتشيك مرسلة من ڤيينا بتاريخ ١٨٨٢/٩/٢٠ يقول :

«الصديق العزيز ... يبدو أن الأمور فى مصر تسمح لى لحسن الحظ ، باستئناف نشاطى هناك عن قريب ، بعد غد يصل السيد ترنتى Trenti من تريستا الى الاسكندرية والقاهرة . وأنا واثق تماما ، من أن رجالى العرب قد جمعوا فى الشهور الأخيرة كثيرا من التحف والبردى والمنسوجات الأثرية ، ولهذا فانى أنتظر أن أتلقى قريبا طرودا كبيرة من القاهرة ... والى اللقاء » .

* * *

وتكشف الرسائل عن الثمن البخس الذى دفعته ڤيينا — «الأرشيدوق راينر» فى هذه الصفقة التى لا يعرف العصر لها مثيلا ، كما تكشف عن الظروف التى تمت فيها والمساومات التى جرت بشأنها ، والمكاتبات التى تبودلت حولها ما بين القاهرة وڤيينا وبرلين .

لقد كان جراف يطلب فى مجموعة بردى الفيوم الأولى — وتبلغ عشرة آلاف بردية بست لغات ، ومعها مجموعة من الأقمشة الأثرية — ثمانين ألف جولدن فقط . والجولدن عملة هولندية تساوى الآن حوالى ١٢ قرشا مصريا . ولا أعرف كم كانت تساوى فى زمن الصفقة ، على أى حال فهى تساوى الآن شلنين انجليزيين ، فيما أخبرنى به مدير البنك الأهلى فى ڤيينا ، أى أن الصفقة بيعت بخمسة آلاف جنيه انجليزى تقريبا ، بالسعر الحاضر(*) .

والرقم لا يعطى هنا دلالته كاملة ، الا اذا رجعنا الى سجلات وزارة المعارف المصرية حوالى ١٩٥٠ ، لعلها تكون قد احتفظت بالمكاتبات التى دارت بين الوزير وبين سيدة من هواة الآثار حول كتاب واحد من البردى المصرى كان فى حوزتها ، وعرضته على وزارة المعارف وطلبت ثمنا له آلافا من الجنيهات . وقد سمعت بقصة

(*) عام ١٩٦٤ حين كنت فى ڤيينا ادرس بردى البرتينا .

هذا الكتاب من الأستاذ الوزير « على أيوب » رحمه الله ، وأخبرنى الأستاذ الدكتور طه حسين فى شهر أكتوبر الماضى أن الثمن الذى طلبته السيدة الأجنبية لكتاب البردى كان خمسين ألفا من الجنيهات !

ونعلم كذلك من الرسائل المنشورة فى كتاب الدكتور هونجر أنه حتى عام ١٨٨٣ لم يكن «الأرشيدوق راينر» ظهر على المسرح ولاعرف له أى دور فى القصة التى بدأت أحداثها تدور ما بين الفيوم والصعيد والقاهرة وڤينا ، من عام ١٨٨١، وانما كان الدوركله للمستشرق « يوسف كاراباتشيك » وتاجر السجاجيد الشرقية « تيودورجراف » الذى جازف فدفع ما دفع من ثمن البضاعة ، وطال عليه المدى فى انتظار استرداد هذا المال المعطل .

وكان الأمر — كما أشرت من قبل — يتم فى الخفاء طبقا لتعليمات كاراباتشيك. لكن صفقة جراف كانت من الضخامة بحيث لا يسهل أن تظل لمدى طويل طى الكتمان فلا تذهب الظنون كل مذهب فى الهيئة التى تتوارى خلف التاجر النمساوى . وشاعت شائعة فى الأفق الدولى تقول ان « جراف » لا يهتم بجمع البردى لحسابه الخاص وانما يعمل لحساب متحف ڤيينا . والرسالة التالية — وقد بعث بها جراف الى كاراباتشيك فى ١٤/٨/١٨٨٣ — تسجل صدى ما شاع من أمر الصفقة فى أكبر العواصم الأوروبية حينذاك .

« الصديق العزيز ...

منذ فترة تلقيت من أخى الدكتور برنارد جراف هذا المقال المنشور فى صفحة برلين اليومية بتاريخ ٣١ من مايو عن مجموعة البردى الكبيرة التى ظفرت بها ، وحين قرأت فيه أننى جمعت هذا الكنز لحساب المتحف النمساوى وجدت من مصلحتى أن أكتب الى الصحيفة ، مطالبا بتصحيح هذا الخطأ ومؤكدا أننى جمعت هذا البردى لنفسى لا للمتحف النمساوى . واليوم صباحا تلقيت من برلين خطابا من السيد جورج بورش Georg Bursch وسأنقله لك هنا :

— برلين فى ١٢/٦/١٨٨٣

(السيد المحترم : تلقيت من ادارة صحيفة برلين اليومية التى أتشرف بالعمل فيها ، خطابك الكريم المؤرخ فى الثالث من هذا الشهر ، وكم كانت دهشتى ودهشة زملائى كبيرة ، حين علمنا منه أنه لم يتم أى اجراء فى ڤيينا لشراء المجموعة

الهامة التى جمعتها من البردى لحساب الدولة . وأرجو أن تأذن لى فى أن اتقدم اليك بنصيحة ، وهى أن تتجه الى الادارة العامة للمتاحف فى برلين ، وتعرض عليها شراء البردى ، وأنا واثق تماما أن عرضك سوف يقبل على الفور ، وسأكون مدينا لك بالشكر اذا أبلغتنى قرارك فى هذا الأمر) .

« وواضح أن هذا العرض ياصديقى أنهم فى برلين مهتمون بمجموعتى من البردى بحماس شديد . على أننى لن أعرض هذا البردى للبيع خارج النمسا الا اذا طال الوقت ولم يتم شىء هنا ، وعندئذ أرسله الى برلين وأطلب ثمانين ألف جولدن ثمنا له . وهو ليس ثمنا كبيرا بحال ما ، اذا قدرنا ضخامة المجموعة وما فيها من قطع قيمة . ولك تحيات قلبية من صديقك جراف » .

ولم تمض سوى أيام معدودات ، حتى أتبع جراف خطابه هذا بالخطاب التالى المؤرخ ١٨٨٣/٦/٢٦ .

« صديقى العزيز ...

السيد فون أيتلبرجر Eitelberger مستشار البلاط — بالنمسا — أرسل اليومَ الى ، يرجو أن أقابله فى المتحف هـــذا الصباح . ويقول ان ســمـــو الأرشيدوق راينر ، قد كتب اليه لكى يتولى عنه المفاوضة فى شراء مجموعتى من البردى والنسيج ، وعلمت أن السيد فون أيتلبرجر والأستاذ فون هارتل Von Hartel كتبا اليك بهذا الموضوع .

« وسئلت أن أقابل الأستاذ ڤيسلى بعد ظهر اليوم وأبلغه قرارى النهائى عن الموقف والثمن الذى أطلبه على وجه التحديد ، وقد أبديت للسيد المستشار الامبراطورى استعدادى لقبول ثلاثين ألف جولدن لمجموعة البردى ، وعشرين ألف جولدن لمجوعة الأقمشة ، أى خمسين ألفا للمجموعتين ... » .

على هذا النحو تمت الصفقة الكبرى ودفع الأرشيدوق راينر ثمنها ، ومن ذلك الحين بدأ حرصه على تنميتها ورعايتها ومتابعة دراسة العلماء لنصوصها ، فنقرأ فى خطاب له أرسله من قصره الصيفى الى كارلباتشيك فى ١٨٨٤/٦/١٦ :

الأستاذ العزيز .

« الأيام القليلة التى أمضيتها فى ڤيينا لم تتح لى فرصة زيارتك فى مكان عملك . وأمسك بالقلم الآن لأعبر لك عن جميل شكرى على النشرات الأخيرة

والصور التى تفضلت فأرسلتها الى ... ويسعدنى حقا ، العثور على برديات جديدة باللغة الاغريقية أو الرومانية أو العربية ، مما يقدم دليلا جديدا على اهتمامنا بهذا العمل الجليل . وأتمنى أن يتم بنجاح فك أوراق كتاب البردى الذى حدثتنى عنـه كى تتاح لى قراءته كله ، وما أشك فى أنه سوف يعطينا مادة تاريخية هامة .

« واذ أكرر لك شكرى ، أتمنى لعملك الجليل أحسن النتائج وسأبقى المخلص راينر » .

* * *

وأتابع قراءة الرسـائل فأجد بينها رسـالة من جراف فى القاهرة بتاريخ ١٨٨٥/١/١٩ تنبىء بأن الفيضان الكبير للبردى فى مصر قد انحسر ، وترك لدى التجار بقايا ، يود جراف أن يعود بها الى وطنه . لكنهم يغالون فى ثمنها فيطلبون ثلاثين فرنكا لثلاث أو أربع أوان مليئة بلفائف البردى ! ويستطرد جراف قائلا : « وقد رفضت لوحات أثرية من الخزف عليها كتابات اغريقية وقبطية وديموطيقية وهيروغليفية ، عُرضت فى السوق بسعر سبعين فرنكا ، وهى الآن فى طريقها الى متحف اللوفر بباريس . والواقع أن نقص المال الذى تعانيه حكومتنا قد أصبح معروفا هنا ونفوذنا يتقهقر بسرعة الى الوراء ... وقد سمعت هنا قصصا مثيرة ، ومع ذلك يقولون : ان الشرق لنا .. ! » .

كما أجد بعدها رسالة كتبها جراف وهو فى ڤيينا الى صديقه المستشرق بتاريخ ١٥/١٢/٨٥ . وفيها يقول :

الصديق العزيز

« علمت مما كتبه نائبى بالقاهرة الى ، أن الاهتمام بالبردى ثار من جديد ، وقد انتشرت هناك شائعة تقول أنه تكونت فى برلين جمعية برئاسة هاينريش شليمان Heinrich Schliemann رصدت نصف مليون مارك لاجتلاب البردى من مصر » .

***

وتتابع الرسائل ، لنعلم منها أن الحكومة المصرية ظلت فى غفلة عن الأمر الى أن ذاعت أخبار سوق البردى وانتشرت قصص مثيرة عن المساومات التى كانت

تجرى فيها والهدايا التى كانت تحمل منها الى الملوك والقياصرة ، فبدا للحكومة أن تفرض رقابة على السوق لكى تحتكر البضاعة وتستأثر بالثمن المجلوب .

ويبدو أن اعلان عزم الحكومة على التدخل فى الموقف ، قد أزعج الأوروبيين الذين حسبوا أن الرقابة الحكومية جد لا هزل فيه ، فتوقف نشاطهم فترة خوفا من العقاب الصارم ، كما يظهر ذلك بوضوح فى رسالة بعث بها جراف الى كاراباتشيك فى منتصف ديسمبر عام ١٨٨٥ وقال فيها :

« ... وكتب لى نائبى فى القاهرة ، أنه قد بلغه أن الأستاذ أدولف أرمان — من علماء المصريات المشهورين — يبحث الآن فى كل مكان عن البردى ويسأل عنه كل من يلقى ، لكن دون أن ينجح الى الآن فى الوصول الى شىء منه ، وليس هذا بمستغرب ، فالبردى أولا ، لا يعوم بالقاهرة فى الهواء ! وثانيا : معروف هنا أن جواسيس الحكومة المصرية منتشرون فى كل مكان يحاولون أن يعرفوا أين عثر أو يعثر على البردى ، ومن الذى عثر عليه . ولهذا فان مصادر البردى لا بد أن تتوقف وتصمت لفترة طويلة . وأعتقد أنه بمجرد نشرك ما أعددت من مجموعتنا من البردى — وفيها وثائق بالغة الأهمية عن غزو المسلمين لمصر — سيكون من الخطر المجازفة بالسؤال عن البردى فى مصر ، فما بالك بمحاولة تصديره الى الخارج ؟

وعلى أى الأحوال ، لنا أن نعد أنفسنا سعداء لأننا استطعنا لحسن الحظ أن ننقل الى ڤيينا فى الوقت المناسب هذه الكمية الضخمة من وثائق البردى الموجودة لدى سمو الأرشيدوق راينر .

« وتتجمع الآن فى مصر سحب العاصفة آتية هذه المرة من السودان . متى تتمتع بالهدوء فى هذا البلد كى تسير الأمور التجارية على الأقل سيرا حسنا ؟ »

* * *

لكن فترة التوقف لم تطل ، الا ريثما كشفت الأيام عن عقم هذه الرقابة الحكومية وغفلة الحراس الاداريين الذين نام منهم من نام التماسا للراحة وايثارا للعافية ، وآخرون منهم أغمضوا عيونهم وقد أعشاها بريق المال : فصدق فيهم المثل : حاميها حراميها .

ودب النشاط من جديد فى السوق ، بعد أن أدرك المتعاملون فيها عبث الرقابة الحكومية ، واطمأنوا الى أنهم يستطيعون استئناف نشاطهم فى البحث عن بقايا الكنز فى غفلة من الخفراء والحراس أو بالتواطؤ معهم ! وعاد البردى يتدفق من مصر الى أوروبا . وحقق التاجر الماهر « تيودورجراف » جولات جديدة ظافرة فى الميدان ، فنقرأ فى رسالة منه الى صاحبه بتاريخ ١١/ ٢/ ١٨٨٧ خبرا عن مجموعة جديدة من البردى حملها بنفسه من مصر الى ڤيينا ، وطلب من صديقه المستشرق عرضها على الأرشيدوق راينر ، ثم افادته عن رأى سموه فيهما ، وختم خطابه قائلا :

« ... ولن يسعدنى فقط فى هذه الظروف التجارية السيئة أن تتم الصفقة ، بل أنى أرحب كل الترحيب باتمامها فى أقرب فرصة . لك لأنى أود أن أسافر خلال هذا الشهر الى القاهرة . وأرى من الضرورى تأجيل سفرى الى أن ينجلى الموقف بالنسبة الى هذه المجموعة الجديدة من البردى والرق . والواقع أنه لو ساورنى أدنى ريب فى تردد سمو الأرشيدوق راينر فى شرائها ، لكنت اضطررت الى عرضها للبيع فى مكان آخر ، لأنى دفعت فيها من رأس مالى ، ما لا أستطيع الاستغناء عنه طويلا فى مثل هذه الظروف ... » .

وقد تم بالفعل شراء البضاعة الجديدة لحساب راينر الذى ضمها الى مجموعته ، وكتب الى كاراباتشيك بتاريخ ١٣/٤/١٨٨٧ ما ترجمته :

الأستاذ العزيز ،

« ... ويسعدنى كذلك أن أسمع عما فى هذه المجموعة الجديدة وأن أعلم أن العمل فيها يتقدم بنجاح بفضل جهدك وجهود السادة زملائك المشتغلين بها . وأنا مقدر بطبيعة الحال أن العبء تضاعف بالزيادة المضطردة فى مجموعتنا التى ترجع الوثائق الأخيرة منها الى عام ٨١٨ م ، ولا شك فى أن ترقيم هذه المجموعة وتصنيفها ، يحتاج وحده الى جهد شاق ... وأحييك الى اللقاء . راينر .. »

ونستطيع أن نتصور مدى عقم الرقابة وغفلة الحراس ، اذا علمنا أن «جراف» لم يتردد فى القيام برحلة معلنة الى مناطق الكشف عن البردى فى الصعيد ، دون خوف أو حذر ، بعد عامين اثنين من فرض الرقابة التى حسبها فى أول الأمر ، تجعل مجرد السؤال فى مصر عن البردى مجازفة خطرة ! وهو يبدو فى عام ١٨٨٧

أقوى تفاؤلا وأرحب أملا فى العثور على بقايا ما سماه « الكنز الراقد تحت أرض مصر» ... ومن الفيوم ، بعث الى ڤيينا بهذه الرسالة المؤرخة فى١٩/١١/١٨٨٧:

الصديق العزيز .

« اليوم أبعث اليك تحية قلبية من الفيوم مكان العثور على بردينا Unsere Papyri — فلقد قمت أمس بزيارة مناطق الكشف عنه فى كوم فارس ، تل من أطلال أرسنوحى العاصمة القديمة للفيوم ، وتبعد عنها بحوالى ربع ساعة . ولست أشك فى أنه اذا اتيح لنا البحث الجاد فى الأكوام والأطلال الخربة ، فسوف نعثر على بقايا ممتازة من آثار العصور القديمة . فهناك يرقد الكنز تحت الأرض ، ولا يحتاج الا الى المال فقط لنستخرجه ، والبردى فى السوق قليل ، لكن الحظ حالفنى فاستطعت الظفر بكمية منه كادت تفلت من أيدينا ، اذ من المنتظر أن يأتى الأستاذ أولريش فيلكن Ulrich Wilken قريبا لزيارة هذه المنطقة ؛ فلولا سبقى الى البرديات الجديدة ، لكانت فيما أعتقد سأخذ طريقها الى برلين » .

ثم تلتها بعد يومين رسالة منه الى كارلباتشيك جاء فيها :

« ... من الفيوم أرسلت اليك أمس الأول تحية ألحقها اليوم ببضعة أسطر : ذكر لى رجالى العرب ، أنه قد عثر فى خرائب منزل قديم بأخميم على نحو مائتى لفافة مطوية من البردى ، وتدل الكتابة المقروءة بوضوح على الأجزاء الظاهرة منها ، على أنها ترجع الى عصور قديمة . وأبادر فأرسل اليك اليوم ، فى طرد بالبريد المسجل ، أربع لفائف منها لكى تفحصها وتحكم عليها . وهى تبدو صعبة الفتح ولا يدرى أحد شيئا عن النصوص المدونة فيها ، لكن من السهل عليك فتحها وقراءة نصوصها ، فاذا بدت لك ات قيمة فانى أستطيع أن أوافيك بالكثير منها ، وهو من نفس الحجم والصنف تقريبا . والعرب هنا تحت أمرى الى أن أتلقى برقية منك ... »

* * *

واستمر نشاط جراف وأمثاله رغم الرقابة المفروضة ، والحكومة عاجزة عن الاهتداء الى سر الكنز . وكان يحدث أحيانا أن يسمع موظفوها المكلفون بالرقابة عن نبأ العثور على بردى فى جهة ما ، ثم ما يكادون يصلون الى هذا المكان حتى يكون البردى قد افلت منهم كما حدث فى مجموعة بردى كوم اشقاو التى عثر عليها الفلاحون عام ١٩٠١ ، ثم لما وصلت شرطة طما الى القرية اختفى البردى

كله فلم تعثر على شيء منه ، وبعـــد مضى أسابيع ظهر لدى تاجر بالقـــاهرة لفائف اغريقية جيدة من البردى المختفى ، كما اشترى الأستاذ موريتس لفائف عربية منها . وبعد زمن ، ذاع خبر وصول كميات من بردى كوم اشقاو ، الى برلين وهايدلبرج ولندن واشتراسبورج وموسكو ، فضلا عن اللفائف الرائعة التى اشتراها الأستاذان « ايبشر ، وتاشند » من تجار القاهرة .

***

وأظنني بهذا القدر الذى رويته من قصة البردى قد بينت مدى اهتمام الدول الغربية بهذه الذخائر من تراثنا ، لماتضيء من التاريخ الحضارى للانسانية بوجه عام ، ومن حيث هى تراث مشترك لا يصح أن تتخلى دولة متحضرة عن مسئوليتها فى الكشف به عن معالم التطور البشرى ما بين ماض وحاضر ، فضلا عما يكشف لهم هذا التراث من سر وجودنا وطبيعة مزاجنا وملامح عقليتنا . ومن قبلهم سعت رسل الغرب الى أقطار الشرق باحثين عن كنوز مخطوطاته ، وجاء « نابليون » معه بجنود من العلماء لدراســـة أحوال الشعب المصرى والكشف عن أسرار تاريخه القديم ، فكيف بنا والتراث لنا والتاريخ تاريخنا ؟ ألسنا فى حاجة الى أن نكشف عن حقيقة ذاتنا ونهتدى الى معالم وجودنا منذ عهدنا التاريخ تقود البشرية على درب الحضارة والتمدن ؟

ان حاضرنا لا يمكن أن يستغنى عن تجارب ماضينا ، وعن الفحص الدقيق لأرضه التى يقوم عليها البناء الجديد .

(٥)

فحـــص المجموعة

استطعت بفضـــل المعونة الصـــادقة التى قدمتها لى الدكتورة لوبنشتاين Loebenstein مديرة المجموعة ، والأستاذ فاكلمان Fackelmann خبير البردى فى البرتينا ، أن آخذ فكرة كافية عن ذخائر مجموعة راينر .

وتقدر المجموعة بنحو مائة ألف بردية تم فك أكثرها ، ولايزال هناك نحو عشرة آلاف لفافة لم تفك بعد . ويتابع الأستاذ فاكلمان فكها بتطريتها والصاقها

على الورق المقوى . وقد قام كاراباتشـــيك ومعاونوه بفحص عدد من هذه الذخائر نشر منها فى دليل كاراباتشيك ١٤٠٠ نص مع شروح وتراجم وتعليقات . وما نشره جروهمان ، موجود فى كتبه عن البردى . وبقى نحو خمسين ألف بردية تم فتحها وصياتتها ، لكن دون أن تفحص أو تقرأ .

ويقف عمل الأستاذ فاكلمان Fackelmann الآن فيما يختص بالبردى العربى عند تطرية اللفائف وصياتتها دون متابعة الفحص والتنسيق ، لجهله باللغة العربية ، وقد قال لى فيما قال ان فحص نصوص البردى العربى فى مجموعة ألبرتينا وقف عند كاراباتشيك وجروهمان من بعده ، بحيث يمكن القول أن دراسة البردى العربى قد ماتت . أو بنص عبارته « Ist schon tot » على حين استمرت دراسة البردى اليونانى واللاتينى حية ، لوجود علماء متخصصين يواصلون فحصها واستقراء نصوصها .

وما تم فكه وفهرسته ، وضع منسقا فى خزانات ذات أرفف من الصلب ، أعدت خصيصا لهذه الغاية ، وهى مصونة فى غرف موصدة منيعة لا يباح الدخول فيها الا باذن خاص ، وفى صحبة مديرة المجموعة . وجدران الغرفة عازلة للصوت مكيفة الهواء والرطوبة ، مجهزة بما يقيها من الحشرات والتقلبات الجوية . وعلى كل رف بطاقة تحمل الرمز اللغوى للبرديات المودعة فيه ، وأرقامها فى الفهرس العام . وهذا بيان للرمز :

الرق العربى .A.P.G — البردى العربى .A.P — الورق العربى .A.C

ولم يتح لى بطبيعة الحال أن أشتغل بغير النصوص العربية وان كنت بدافع الاطلاع قد ألقيت نظرة سريعة على نماذج من البردى فى اللغات الهيروغليفية واللاتينية ، حيث لفتنى منها دقة خطها وروعة نسقها .

والجزء الذى اشتغلت عليه من البردى العربى ، يبلغ تسعمائة وخمسين بردية ، أرقامها فى فهرست المجموعة من ٥٥٠ الى ١٤٠٠ وكلها عن مصر . وأقدمها مؤرخة عام ٢٢ هجرية من عهد عمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وأحدثها مؤرخة عام ٧٨٠ هـ . من عهد السلطان المنصور محمد فى عصر المماليك . وهذا بيان لها :

عصر الخلفاء الراشدين :

الخليفة عمر بن الخطاب من رقم ٥٥٠ : ٥٦٢
الخليفة عثمان بن عفان من رقم ٥٦٣ : ٥٦٧

مصر فى العصر الأموى :

من عهد معاوية ويزيد من رقم ٥٦٨ : ٥٨١
من عهد عبد الملك بن مروان من رقم ٥٨٢ : ٥٩١
من عهد الوليد بن مروان من رقم ٥٩٢ : ٥٩٥
من عهد عمر بن عبد العزيز رقم ٥٩٦
من عهد هشام بن عبد الملك من رقم ٥٩٧ : ٦٠٧
من عهد مروان بن محمد رقم ٦٠٨

مصر فى العصر العباسى : (١٣٢ ـ ٢٥٥ هـ)

من عهد أبى العباس السفاح رقم ٦٠٩
من عهد أبى جعفر المنصور رقم (١/٩٠ مراسيم)
من عهد محمد المهدى من رقم ٦١٠ : ٦١٦
من عهد هارون الرشيد من رقم ٦١٧ : ٦٦٥
من عهد محمد الأمين من رقم ٦٦٦ : ٦٨٢
من عهد المأمون من رقم ٦٨٣ : ٧٢٣
من عهد المعتصم بالله من رقم ٧٢٤ : ٧٤٩
من عهد الواثق بالله من رقم ٧٥٠ : ٧٥٥
من عهد المتوكل على الله من رقم ٧٥٦ : ٧٧٥
من عهد المنتصر بالله رقم ٧٧٦
من عهد المستعين بالله من رقم ٧٧٧ : ٧٨٥
من عهد المعتز بالله من رقم ٧٨٦ : ٧٩٣

مصر فى الدولة الطولونية : (٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ)

من عهد أحمد بن طولون من رقم ٧٩٤ : ٨٣٤
من عهد خمارويه من رقم ٨٣٥ : ٥٨٣

من عهد جيش بن خمارويه من رقم ٨٥٤ : ٨٥٧
من عهد هارون بن خمارويه من رقم ٨٥٨ : ٨٨٣

الدولة العباسية الثانية : (٢٩٥ ــ ٣٣٣ هـ)

من عهد الخليفة المكتفى بالله من رقم ٨٨٤ : ٨٨٥
من عهد الخليفة المقتدر بالله من رقم ٨٨٦ : ٩٠٧
من عهد الخليفة القاهر بالله من رقم ٩٠٨ : ٩١٣
من عهد الخليفة الراضى بالله من رقم ٩١٤ : ٩١٥
من عهد الخليفة المتقى لله رقم ٩١٦

مصر فى العصر الأخشيدى : (٣٣٣ ــ ٣٥٧ هـ)

من عهد محمد بن طغج الأخشيد من رقم ٩٤٩ : ٩٦٨
من عهد أنوجو بن محمد من رقم ٩٧١ : ١٠١٦
من عهد على بن طغج من رقم ١٠١٧ : ١٠٥٨
من عهد كافور الأخشيدى من رقم ١٠٥٩ : ١٠٦١

مصر فى العصر الفاطمى : (٣٥٨ ــ ٥٦٧) :

من عهد المعز لدين الله من رقم ١٠٦٤ : ١٠٧٣
من عهد العزيز بالله من رقم ١٠٧٤ : ١٠٨٩
من عهد الحاكم بأمر الله من رقم ١٠٩٠ : ١١٤٦
من عهد الظاهر لاعزاز دين‌الله من رقم ١١٤٧ : ١١٨٢
من عهد المستنصر بالله من رقم ١١٨٣ : ١٢٧٥
من عهد الآمر بأحكام الله من رقم ١٢٧٦ : ١٢٨٢
من عهد الظافر بأمر الله من رقم ١٢٨٣ : ١٢٨٦
من عهد العاضد بالله رقم ١٢٨٧

مصر فى العصر الأيوبى : (٥٦٧ ــ ٦٥٢ هـ)

من عهد صلاح الدين رقم ١٢٩٠
من عهد العزيز عثمان رقم ١٢٩١
من عهد العادل سيف الدين من رقم ١٢٩٢ : ١٢٩٧

من عهد الكامل محمد من رقم ١٢٩٨ : ١٣٠٢
من عهد الصالح نجم الدين أيوب من رقم ١٣٠٣ : ١٣١٠
من عهد الأشرف موسى من رقم ١٣١١ : ١٣١٥

دولة المماليك : (٦٥٧ ـ ٧٨٣ هـ)

من عهد السلطان سيف الدين قطز من رقم ١٣١٦ : ١٣١٧
من عهد ركن الدين بيبرس من رقم ١٣١٨ : ١٣٢٥
من عهد قلاوون من رقم ١٣٢٦ : ١٣٣٩
من عهد ناصر الدين محمد :
(فى ولايته الأولى) من رقم ١٣٤٠ : ١٣٤١
(فى ولايته الثانية) من رقم ١٣٤٢ : ١٣٤٨
(فى ولايته الثالثة) من رقم ١٣٤٩ : ١٣٦٤
من عهد المنصور أبى بكر رقم ١٣٦٥
من عهد الملك الصالح اسماعيل من رقم ١٣٦٦ : ١٣٧١
من عهد الكامل شعبان رقم ١٣٧٢
من عهد الناصر حسين من رقم ١٣٧٣ : ١٣٨٣
من عهد المنصور محمد من رقم ١٣٨٤ : ١٣٩٠
من عهد الأشرف شعبان من رقم ١٣٩١ : ١٣٩٩
من عهد المنصور على رقم ١٤٠٠

وقد شُغلت بمراجعه نصوص هذه الوثائق على ما نشره كارلباتشيك عنها ، كما شغلت بقراءة ما كتبه من تعليقات على أكثرها . وقدرت المشقة البالغة التى تحملها وهو يقرأ هذه الوثائق بخطها القديم ، فى أوراق قديمة لم تسلم من عبث البلى مما أجهدنى والعربية لغتى ونصوص التراث تخصصى . على أنى لاحظت أنه فى التعليق عليها قد جاوز فى أغلب الأحيان ، ما تعطيه نصوص البرديات من دلالات ، مضيفا اليها من مطالعاته وآرائه ما لا يحتمل النص .

(٦)

القيمة التاريخية لهـــذه النصوص

أشار (الميثاق) فى درس النكسة الى أن « أجيالا متعاقبة من شباب مصر قرأت تاريخها الوطنى على غير حقيقته » .

وتراث البردى فى جملته ، يعطى وثائق مادية لهذا التاريخ الذى نحتاج الى استجلاء حقيقته فى مرحلة اكتشاف الذات .

وفيه مفاتيح لكثير مما غاب من ذلك التاريخ واضاءة لدور الشعب فى صنع حياته ، وهو الدور الذى أغفله أكثر مؤرخينا ، ممن داروا فى فلك القصور وشـــدت عيونهم الى البلاط يرصـــدون حركات السلاطين ، ومَن حولهم من حاشية وجند ووزراء وشعراء وندماء ، فجاء تاريخنا السياسى حلقات مسلسلة من أسماء أسر وحكام تتابعوا على العروش ، وسردا مفصلا لأعمالهم ومعاركهم الحربية والمذهبية ، كما جاء تاريخنا الأدبى فى جملته ديوانا جامعا لما نظم المرتزقة من شعر المدح وما قال المأجورون فى تمجيد أصحاب السلطان ، وتبرير الأوضاع أمام الجماهير المحكومة حكما فرديا مستبدا فى الغالب . ولقد استطاع المستشرق الدكتور يوسف كاراباتشيك أن يدرس بضعة آلاف من البرديات العربية فى « مجموعة راينر » من بداية الفتح العربى لمصر ، الى عصر المماليك . وقدم فى أول كتاب نشره عن بردينا وثائق تعطى مادة تاريخية لحياة هذا الشعب القومية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية :

رسائل أفراد من عامة الشعب عن حاجاتهم وشكاواهم ، وعن عواطفهم ، وأذواقهم . وتذاكر طبية من عصر مبكر تحدد أصنافا من الدواء وطرق العلاج منها مثلا البردية رقم ٧٤٣ من عهد المعتصم العباسى ، ورقم ٨١١ من القرن الثالث الهجرى .

وطلبات سلع وبضائع من الأهالى والتجار ، حملها البريد من أشمون الى الفيوم ومن دمياط الى الصعيد ، فى شراء أصناف من الأطعمة والملابس والحلى والعطور يتطلبها السوق أو يحتاج اليها بيت أو تجهز بها عروس . أذكر منها على سبيل المثال البردية رقم ٥٦٣ فى شعبان سنة ٢٦ هـ . من عهد الخليفة عثمان بن

عفان والبردية رقم ٥٧٤ من عهد معاوية ، وفيها طلب لثلاثة معاطف ، وعدد من مناديل الرأس والألحفة الصوفية مع تحديد ألوانها ، ومقدار من عصير البلح . والبردية رقم ٦٠٤ من عهد هشام بن عبد الملك ، وفيها بيان لميزانية بيت أحد الاغنياء ، والمقرر لنفقات اصطبل خيوله . والبردية رقم ٧١٠ بتاريخ ٢٠٨ هـ من عهد المأمون ، وفيها مبادلة أصناف من السلع بين التاجرين فيب وقسطنطين من قبط مصر .

والبردية رقم ٧٧١ من عهد المتوكل ، ببضائع تجارية من الملبوسات والأقمشة مع بيان أسعارها ، ورقم ٨٤١ من العصر الطولونى وفيها بيان لمستحضرات حمّام: كحل قيمته ١/٦ دينار ، وعطر بربع دينار ، وزعفران لصبغ الشعر بدرهم وثمن درهم ، وحناء للشعر والأيدى بثمن درهم ، وزيت طيب بدرهم .

والبردية رقم ١٠٧٢ من العصر الفاطمى وفيها توكيل بشراء كتب وورق وأطعمة وأقداح شراب وغطاء مائدة ، مع تحديد أسعار كل منها . والبردية رقم ١٢٩٠ مؤرخة فى عام ٤٨٧ هـ من العصر الفاطمى أيضا ، بطلب شراء منديل رأس أحمر وقميص داخلى من قماش ناعم جدا أحمر اللون ، ومعطف من صنف ممتاز .

وحجج لوفاء النيل فى سنوات بعينها كالبردية رقم ٦١٨ من عصر الرشيد . وأمر ديوانى باحصاء لعدد السكان بمصر وأعمارهم ، وأماكن اقامتهم ، كالبردية رقم ٥٩٩ عن الاحصاء الذى تم فى عهد هشام بن عبد الملك واستغرق ستة أشهر .

وعقود زواج وايجار وصكوك معاملات رسمية وأهلية ، أذكر منها مثلا البردية رقم ٥٦٨ وفيها وثيقة صداق من عهد معاوية ، ورقم ٦٠٩ بصكوك ضرائب من أول العصر العباسى ، ورقم ٦١٣ من عهد المهدى ، وفيها نص وصية رجل قبل موته مع بيان بتوزيع تركته ، والبردية رقم ٦١٧ وتعد أقدم وثيقه عرفت حتى اليوم عن عتق مملوك من الاتراك اسمه تجيش كانت تملكه سيدة تدعى بنت يوسف ، والبردية رقم ٦٤٦ من عهد الرشيد وفيها صكوك ايصالات من أرملة اسمها « سمية » للأوصياء على أولادها الثلاثة القصر ، باستلام نفقاتهم السنوية من مال وطعام .

وشكاوى من أزمات القحط والغلاء ، منها ما يرجع الى العصر الأموى(بردية رقم ٥٩٦) ومنشورات ثورية ضد جور الجباة وعسف الولاة ، أذكر منها البردية رقم ٧٨٨ من آخر العصر العباسى ، وفيها ثورة ضد الوالى التركى . ورفض سيادته لأبناء مصر ، واعتبار ولايته غير شرعية لأنه تركى كافر !

وكل هذا مما يحتاج اليه تاريخنا ، تصحيحا لخطأ أو اكمالا لنقص أو كشفا عن تزييف وتزوير . الى جانب ما تقدمه هذه الآثار المادية الى التاريخ الحضارى العام والى المشتغلين منا بتوثيق مخطوطات تراثنا ، من اضاءة لتطور المواد المستعملة فى الكتابة وأنواع المدد ونسق الخط ، وأشكال الزخارف والرسوم ، وطرق اللف والطى والتجليد .

ويقول كاراباتشيك فى مقدمته لدليل البردى العربى ، بعد اشارة الى ماكانت مصر تعانى تحت حكم الرومان من عسف واضطهاد :

« كلما اقترب بردينا Unsere Papyri الاغريقى من العصر البيزنطى ، تغيرما يظهر لنا منه عن تاريخ مصر ، واتضح لنا الى أى مدى كان هذا البلد العريق الذى جمع من اقدم العصور بين أخصب الأراضى وازهى العمران والتفوق الحضارى والتجارى ، كان به شعب يتحمل المصاعب بصبر ، كما ترينا صكوك البردى كيف شل الفقر الطبقة الشعبية ، وكيف خلق الضغط الضريبى أزمات عميقة ...

« وهى تفسر لنا كيف وقع أكثر بلد على الأرض بَرَكَةً ، كالثمرة الناضجة بين أيدى الفاتحين العرب ، وبعد نجاح الفتح فى تلك الفترة القصيرة من أغرب الأحداث فى التاريخ العام . وقد جاءنا البردى العربى بمعلومات قيمة فريدة عن مصر ، ونقل الينا صورة للحياة فيها بطريقة دقيقـة ، نشعر معها كأننا نعيش فيها ! ...

« ومن نصوص البردى لذلك العهد يظهر لنا أن فكرة غزو العرب لمصر ، كانت تحمل طابعا آخر غير ما نعلم ، وأن الكتابة الحديثة لتاريخ تلك الفترة ، وقعت فى أخطاء جسيمة متعددة .

« كم يظهر لنا فاتحو مصر ــ بفحص هذه الوثائق ــ فى صورة جد مغايرة للصورة المعروفة ! فهم لم يكونوا مجرد غزاة جياع ، ولا كانوا جماعة مغامرين

من البدو راكبى الجمال ، وانما كانوا محاربين منظمين أقوياء يحملون أسلحة من الحديد والرصاص ويقاتلون ببسالة فى سبيل عقيدة اعتنقوها باخلاص . وقد تحررت مصر بهم من الضغط البيزنطى ورحبت بأبناء الصحراء الذين نادوا فيها بحرية العقيدة كما تشهد بذلك وثائق من البردى ، أحداها مؤرخة فى ٨ يناير سنة ٦٤٢ م . وتشهد نصوص أخرى من عصر الفتح بأن العرب الفاتحين حموا دماء المصريين وأملاكهم واحترموا شخصية البلد العريقة النابعة من حضارة قديمة . وفى كتابة الأسقف يوحنا — المعاصر لتاريخ الفتح — اعترف بأن عمرو ابن العاص لم ينزع شيئا من أملاك الكنيسة » .

***

وقد أشرت الى أن أقدم الوثائق العربية مما فحص من مجموعة راينر يرجع الى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقمت بتصوير البردية رقم ٥٥٨ ونقرأ عليها بوضوح أنها كتبت فى شهر جمادى الأولى من سنة اثنتين وعشرين هجرية . وأحدثها من عصر المماليك حيث تحمل البردية رقم ١٤٠٠ تاريخ سنة ٧٨٠ هـ من عهد السلطان الملك المنصور على .

وليس من المتصور أن نكون قد عرفنا تاريخنا وأحطنا بأسراره علما دون مطالعة لما كشف الأجانب الغرباء من وثائق مادية لها مثل تلك الأهمية ، الى جانب ما لم يفحصه أحد من عشرات الالوف غيرها ، فضلا عن لفائف البردى التى لا تزال مطوية لم تفك . وعددها فى (مجموعة راينر) وحدها ؛ نحو عشرة آلاف .

وفيما يختص بجدوى فحص هذه الوثائق على الدراسات الأدبية واللغوية — موضوع تخصصى — كان من الضرورى أن أطلع على نماذج من الكتابة العربية فى العصر الاسلامى المبكر ، لأهتدى بها فى توثيق مخطوطات تراثنا ؛ من حيث نسق الخط ورسمه ومداده ، فضلا عما تضم مجموعة راينر من نصوص ذات أهمية فى معرفة نماذج من لغة الكتابة وأساليبها . وقد عنيت بوجه خاص بما فى المجموعة من برديات فيها نصوص قرآنية ، مثل البردية رقم ٧٢٨ وفيها الآيات من ٦٧ الى ٩٨ من سورة مريم . والبردية رقم ٧٢٩ وفيها آيات من سورة يونس ويبدو أنها كانت مستعملة كتميمة .

وعنيت كذلك بالرسائل ذات الطابع الأدبى ، مثل البردية رقم (٦١٥) من القرن الثانى الهجرى ــ عهد الخليفة المهدى العباسى ــ وفيها مظلمة يتيم اغتصب أحد الأعاجم دينا ضئيلا كان عليه لوالد الشاكى ، فهو يتضرع الى الوالى أن يستدعى المغتصِب ويرغمه على الاقرار بالحق ، ثم يدعو الله أن يطيل عمر الوالى ويباركه . والبردية رقم ٦٣٩ من عهـد الرشيد ، وهى من النثر الفنى العاطفى ، كتبها مريض أنهكه الحب نفسيا وجسديا .

والبردية رقم ٨٤٢ وفيها نص كتاب عتق « بارادة الله عتقناك ، مما لا يجعل لى أو لأى انسان آخر أن يتعرض لحريتك بأى طريق» مع التاريخ وتوقيع الشهود. والوثيقة رقم ١٠٦٤ من العصر الفاطمى ــ عهد المعز لدين الله ــ وفيها منظومة لأحد الإمامية فى هجاء معارضيهم السياسيين والدينيين ، واتهام لهم بالانحراف عن الاسلام .

والواقع أننى كما أشرت فى مقدمة هذا التقرير ، قصدت من رحلتى الى التماس مثل هذه النصوص والوثائق التى قدرت جدواها على ما أشتغل به من توثيق المخطوطات وتحقيق النصوص ، لكن قصة البردى المثيرة ، ما لبثت أن دفعتنى الى متابعتها ومراجعة كل ما يتسع له الوقت من سجلاتها ورسائلها والكتب المؤلفة فيها . فاتضح لى آخر الأمر أن موضوع هذه الذخائر لا يقتصر على أهميتها للمشتغلين بتحقيق التراث العربى والدراسات اللغوية والأدبية فقط ، وانما يتسع ويمتد ، فيتصل اتصالا مباشرا كذلك بتاريخنا القومى . وبالتاريخ الحضارى للانسانية بوجه عام .

توصيات ومقترحات

ونتيجة لما قمت به من عمل فى هذه المهمة العلمية، أتقدم بالمقترحات والتوصيات الآتية : —

١ ــ تتبنى جامعة عين شمس بالاشتراك مع دار الكتب قضية هذه الوثائق المجهولة لنا من تاريخنا ، وتدخلها فى برنامج نشاطها العلمى ، بحيث تخطط لها

فى مشروعاتها وترصد لها جزءا من رصيد ميزانيتها للبحوث والمهمات العلمية . وأرى أن هذه القضية تتصل فى التخطيط للمستقبل بموضوع انشاء معهد عال للتراث وسوف أتقدم للجامعة بمذكرة تفصيلية خاصة ، عن مشروع هذا المعهد الذى يحتاج اليه وجودنا الثورى قوميا ، وعلميا[1] .

٢ ــ توصى الجامعة بأن يدخل فى اتفاقية التعاون الثقافى بين مصر والنمسا تصوير الوثائق التى تم فحصها وفهرستها من مجموعة بردى ڤيينا ، وايفاد لجنة من السيد مدير دار الكتب وأساتذة الجامعة المتخصصين فى التاريخ المصرى والاسلامى والتراث العربى ومعهم أمين مكتبة الجامعة، لاستكمال فحص هذه الوثائق واختيار ما يجب تصويره منها .

٣ ــ تسعى الجامعة لدى وزارات التعليم العالم والثقافة والخارجية لتكليف ممثليها الثقافيين فى روسيا وألمانيا وفرنسا وايطاليا وتشيكوسلوفاكيا وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية ، بكتابة تقرير عام عن كل مجموعات البردى المشار اليها فى هذا التقرير . مع التوصية كذلك بترجمة ما كتب عنها .

وأود هنا أن اسجل شكرى الخالص وتقديرى الصادق لما لقيت من رعاية الأستاذ « السيد حسن التهامى » سفيرنا فى النمسا ومساعدة المكتب الثقافى العربى بالنمسا .

كما أذكر بجميل التقدير السيدة الدكتورة لوبنشتاين Dr. Loebenstein مديرة مجموعة بردى ڤيينا ، والأستاذ انطون فاكلمان Fackelmann, A. خبير البردى فى ألبرتينا ، لما قدما لى من معاونة صادقة وما هيئا لى من فرصة العمل المثمر .

---

(١) استجابت وزارة الثقافة لهذه التوصية ؛ فانشأت مركزا دراسيا لتحقيق التراث ؛ فى دار الكتب بالقاهرة ؛ عام ١٩٦٧ ـ لكنه توقف بعد ذلك ؛ للنظر فى تطويره .